لماذا لا تَقدِر بَعْدُ 'حركة 20 فبراير' بالمغرب على إسقاط الاستبداد ؟

عبد الرحمان النوضة

لماذا لم تحقق 'حركة 20 فبراير' إسقاط الاستبداد، بعد مُضِيّ قرابة سنة على إنطلاقها ؟ هذا هو موضوع هذه الوثيقة (أو "التمثيلية"). وقد كُتبت على شكل حوار يدور بين مُنَاضِلَيْن. ويُناقش هذان المناضلان "حركة 20 فبراير" بالمغرب، ويفحصان واقعها ومستقبلها. وتستعمل هذه الوثيقة الحالية أسلوب الحوار كأسلوب أدبي. والغاية من أسلوب الحوار هذا هو تسهيل التعبير عن أفكار فلسفية، أو

تَيْسِير استعراض أفكار سياسية. ويدور الحوار بين مُنَاضِلَيْن افتراضيين. واسم المناضل الأول في الحوار هو "آدم"، واسم الثاني هو "إبراهيم". وهذه الأسماء لا ترمز إلى أي شيء محدد. المناضل "آدم" يقوم بدور إستعراض إيجابيات 'حركة 20 فبراير'، ويبرز نقط قوتها. بينما المناضل الثاني "إبراهيم" يقوم بدور التّنبيه إلى نقائصها، وينتقد بعض أخطاءها. (وتتناول هذه "التمثيلية" على الخصوص تجربة 'حركة 20 فبراير' بمدينة الدار البيضاء بالمغرب، مع العلم أن 'حركة 20 فبراير' في مدن المغرب الأخرى تشبه، بدرجة أو بأخرى، ما يجري في مدينة الدار البيضاء).

وفي ما يلي الحوار :

إبراهيم : هناك خبر جديد !

آدم : وما هو ؟

إبراهيم : لكنه خبر يتعلق بالمستقبل، وليس بالماضي القريب.

آدم : المهم، ما هو هذا الخبر ؟

إبراهيم : على عكس بعض الآراء، وإذا استمرت 'حركة 20 فبراير' بالمغرب على ما هي عليه، فإنها لن

تستطيع إسقاط الاستبداد السياسي، لا بعد شهور، ولا بعد سنة، ولا حتى بعد عدة سنوات.

آدم : ولماذا ؟

إبراهيم : هذا السؤال يرجعنا إلى نقاش في الفلسفة، وفي علم المجتمع، ويرجعنا إلى نقاش الحاجة إلى التقييم، والنقد، والتقويم، والتطوير، والتّثْوِير.

آدم : هل هذا الحكم قطعي ؟

إبراهيم : نعم ! ما دامت 'حركة 20 فبراير' على ما هي عليه، بأخطائها ونقائصها الحالية، فإنها لن تستطيع إسقاط الاستبداد والفساد بالمغرب ! وبالتالي، لن تحدث الثورة السياسية التي نتشوق إليها بالمغرب في المستقبل القريب !

نقد التفاؤل المُفرط

آدم : أرجوك، لا تُشَكّك في أحلامي. أنا لا أفهمك. في اعتقادي أنا، 'حركة 20 فبراير' هي حركة عظيمة. والمناضلون المشاركون فيها يتحلّون بكثير من الشجاعة، والعزم، والإصرار، والصمود. وهذا يؤهلهم لكي يكونوا قادرين على تحقيق إسقاط الفساد والاستبداد. فلماذا تَدّعِي أنت أنهم لا يتوفرون على هذه القدرة ؟

إبراهيم : المُتتبّع لمظاهرات 'حركة 20 فبراير' يمكن أن يلاحظ أن أغلبية المشاركين في هذه المسيرات الحاشدة، وكذلك أغلبية المتعاطفين معها، يظنّون أن حركتهم هذه هي 'أُخت'، أو هي امتداد موضوعي، للحركة الثورية التي جرت في تونس، ومصر، واليمن، وليبيا، وسوريا. ويعتقدون أن 'حركة 20 فبراير' ستؤدي هي أيضا، وفي مدة مماثلة، وفي ظروف مشابهة، إلى إسقاط الاستبداد والفساد بالمغرب. بل يَعتبرون هذا التنبؤ بديهيّا، أو شبه مُؤَكّد. إلى درجة أنهم يتصورون أن هذا التطور سوف يحدث بشكل شبه آلي. ويفترضون أن نفس الأسباب ستؤدي بالضرورة إلى نفس النتائج. فهل هذا التنبؤ حقّا صحيح ؟ هل هو حقيقة، أم أنه لا يزال مجرد أمنية ؟ هل الظروف المجتمعية والسياسية التي كانت قائمة في تونس، أو في مصر، أو في اليمن، تشبه تماما الظروف القائمة حاليا في المغرب ؟ المُعضلة هي أن هذا التنبؤ متفائل جدا. بل إنه ليس بديهيا. بل هو مفرط في التفاؤل إلى حد الخطأ.

آدم : أرجوك، لا تُشَكّك في آمالي.

إبراهيم : أنظر يا أخي، ما يتمناه المواطنون شيء، والتطور الموضوعي للمجتمع شيء آخر. حيث أن

تطـور المجتمـع يخضـع لقـوانين موضـوعية. وهـذه القـوانين تتجـاوز إرادة مُكَوّنـات المجتمـع. ولا تخضـع بالضرورة لرغبات الأفراد، أو الفئات، أو الجماعـات، أو الطبقـات المجتمعيـة. تطـور المجتمـع يحـدث بشـكل مستقل عن وعي المواطنين، وعن أمانيهم. فإذا تـوفرت الشـروط الضـرورية لتطـور مُجْتَمعـي مـا، يحـدث هـذا التطـور. وإذا لـم تتـوفر شـروطه، فـإنه لا يحـدث، ولـو بلغـت أمـاني الشـعب أو مكنونـاته قِمّتهـا. ومُجْمَـل المؤشرات تدل على أن الشروط الضرورية لإسقاط نظام الاستبداد بالمغرب لا تتوفر بعد بما فيه الكفاية.

آدم : لا أتفق معك ! 'حركة 20 فـبراير' هـي حركـة شبابية عظيمة، أنجزت حِراكًا جماهيريا لا سابق لمثله، وحقّقت ما لم تحققه كل الأحزاب السياسية القديمة !

إبراهيـم : فعلا، الأحـزاب القديمـة، بمـا فيهـا الأحـزاب الثوريـة، لـم تحقـق شـيئا ذي أهميـة، خلال العقود الماضية، في مجال تغيير المجتمع، أو في ميـدان تغيير النظام السياسي. لكن، لنكن دقيقين. مـن بيـن مـا حققته 'حركة 20 فـبراير'، إلى حـدّ الآن، هـو أنهـا تُنَظّـم مظـاهرات جماهيريـة أسـبوعية، خلال كـل يـوم أحـد. ويشارك في هـذه المظـاهرات مناضـلون مـن المـواطنين التقـدميين، ومـن قـوى اليسـار، ومـن بعـض التيـارات

الإسلامية. ومن بين ما حققته 'حركة 20 فبراير' أيضا، هو أنها تجاوزت **المنطق الحزبي**، وعوضته **بمنطق النضال الجماهيري المشترك**. لكن، أن تَستطيع تنظيم مظاهرة دورية، لا يثبت أنك تستطيع تغيير المجتمع، أو إسقاط نظام سياسي، أو تغييره. وهذا الحكم السابق، لا يُقَلّل من أهمية، أو من عظمة، هذه المظاهرات الجماهيرية، الاحتجاجية، والحاشدة.

آدم : أثير انتباهك إلى أن 'حركة 20 فبراير' استطاعت أن تجلب إلى التظاهر الاحتجاجي الأسبوعي عشرات آلاف من الجماهير، وفي قرابة 90 مدينة بالمغرب.

إبراهيم : هذا صحيح ! لكنها لا زالت معزولة نسبيا عن المجتمع العميق. فمن الصعب أن ندعي أن الطبقة العاملة، أو جماهير الفلاحين، أو طبقة الذين لا يَستغِلون ولا يُستغَلون[1]، تفهم 'حركة 20 فبراير'، وتتبنّى مطالبها، وتساندها، أو تشارك فيها.

آدم : لماذا تقول "معزولة نسبيا" ؟ 'حركة 20 فبراير' أثبتت قوتها، وحَيَوِيّتها، وشجاعتها، وقُدرَاتها.

---

[1] أنظر كتاب عبد الرحمان النوضة : "طبقات المجتمع"، نشر نصفه على شكل حلقات على صفحات جريدتي "المسار"، ثم "الطريق"، بين غشت 1985 وشتنبر 1989. سيعرض في المستقبل هذا الكتاب للتنزيل بالمجان على موقع http://livreschauds.wordpress.com.

"لماذا لا تقدر بعد 'حركة 20 فبراير' على إسقاط الاستبداد ؟" (صيغة 12) ، عبد الرحمان النوضة.

إنها تبتكر أساليب نضالية لم يسبق للأحزاب التقدمية القديمة أن مَارَسَتْها.

إبراهيم : إلى حد ما، أتفق معك. لكن علينا أن لا نُبالغ. التواضع أحسن من الكبرياء، أو من الغُرُور. يجب أن نتذكر أن 'حركة 20 فبراير' هي نفسها نتيجة موضوعية لكل الجهود الحزبية، والحركات السياسية، والنضالات الجماهيرية، والتجارب الثورية، التي سبقتها، سواء داخل المغرب، أم داخل العالم العربي، أم على الصعيد العالمي. أُنْظُرْ، كل الأشياء مترابطة في المجتمع. كل الأشياء تتفاعل باستمرار فيما بينها. لهذا يلزمنا أن نَنْتَبِه وأن نَنْفَتِح على كل الحركات، والإنتاجات، والمحاولات، والتجارب، الماضية والحالية، لكي ندرسها، ونستفيد من دروسها، إلى أكبر قدر ممكن. فهل حقا كل مُناضلي 'حركة 20 فبراير' درسوا التجارب النضالية الماضية ؟ هل استوعبوا دروسها ؟ لا أظن. ألا تتفق معي أن المناضلين الذين لم يدرسوا عددا من التجارب النضالية الماضية، يحتمل جدا أن يعيدوا إنتاج أخطائها السابقة ؟

نقد عدم كفاية النضج السياسي

آدم : ذاك محتمل ! لكن، أنا أزعم أن 'حركة 20 فبراير' هي القوة الوحيدة القادرة على تغيير المجتمع. وهي في طريق تحقيق هذا التغيير.

إبراهيم : لا يا مُواطن، أخشى أن يحتوي كلامك هذا على قدر من المُبالغة، أو من الغرور. 'حركة 20 فبراير' لا تستطيع وحدها أن تغيّر نظام الدولة، ولا أن تغير المجتمع. ولا يمكن أن يحدث تغيير النظام السياسي، أو تغيير المجتمع، إلا إذا ساهمت فيه **مجمل مكونات الشعب** ! وهذه المكونات، هي طبعا متعددة، ومتنوعة، وأحيانا متناقضة ! بل حتى فيما يخص بعض القوى التي تساند عادة النظام القائم، مثل طبقة المُسْتَغِلّين الصغار، وكذلك الطبقات المتوسطة المتنورة، يطرح على 'حركة 20 فبراير' أن تعمل على كسبها، أو على اجتذابها إلى معسكر الثورة. علينا أن نخلق تناقضات في صفوف الأعداء الطبقيين !

آدم : يظهر أنك تشك شيئا ما في قدرات هؤلاء المناضلين. 'حركة 20 فبراير' هي حركة جماهيرية، تقدمية، مفتوحة، سلمية، ديمقراطية، ومستقلة عن الأحزاب. وقد أثبتت أنها تتوفر على قدر متقدم من وضوح الرؤية، ومن الوعي السياسي، ومن الجرأة النضالية. ومِمّا لا شك فيه أنها سوف تبتكر الحلول

الملائمة لمعالجة كل المشاكل التي قد تصطدم بها في المستقبل.

إبراهيم : تَمَهّل يا مواطن ! الحماس، أو الاستعداد للتضحية، مهم، لكنه لا يكفي وحده. أُنْظُر ! في نقطة قوة 'حركة 20 فبراير'، تكمن نقطة ضعفها ! وكَوْنُها حركة شبابية في غالبيتها، هو بالضبط الذي يحدّد أهم نقط ضعفها. جل مُناضِلي 'حركة 20 فبراير' هم شباب. فمن الطبيعي أن تكون، في البداية، درجة النضج السياسي غير كافية لدى عدد من مُناضِلي 'حركة 20 فبراير'. وقوة الشباب تأتي من كونه أكثر قدرة على النضال، وعلى الحركة، وعلى الجرأة، وعلى التعلّم، وحتى على الابتكار. أما كِبار السن، فإن مسؤولياتهم الاجتماعية تَحُدّ من إمكانية تَحرّكهم. وهذه المسؤوليات الاجتماعية تدفع عادة كبار السن إلى أن يكونوا حذرين، أو محافظين.

آدم : ماذا تقصد ؟

إبراهيم : أُنْظُر. ما ينقص الشباب هو بالضبط قلة التجربة، أو قلة الخبرة السياسية. لا يعقل أن تَدّعي أنك تريد تغيير المجتمع، وأن تظل في نفس الوقت جاهلا **لقوانين تطور هذا المجتمع**. هل يمكن لحركة مناضلة تفتقد إلى حدّا أدنى من علم الاقتصاد، ومن

علم التاريخ، ومن الفلسفة، ومن القانون، ومن علم الاجتماع، هل يمكن لمثل هذه الحركة المناضلة أن تنجح في محاولة تغيير المجتمع ؟ لا أظن. لابد إذن من إقامة **تعاون**، أو **تكامل**، فيما بين **كل مكونات الشعب**، بين الشباب والمسنين، بين القرويين والحضريين، بين العمال والأطر، بين الخبراء وغير الخبراء، بين المثقفين والأقل ثقافة، بين المُحزّبين وغير المُحزّبين، بين الفقراء والأغنياء، بين الأقوياء والضعفاء، إلى آخره. كل أفراد الشعب، الطّامحين إلى الحرية، وإلى الكرامة، وإلى العدالة الاجتماعية، يلزمهم أن يتعاونوا، وأن يتكامالوا فيما بينهم.

آدم : يظهر أن كلامك يحتوي على شيء من الاحتقار لشباب 'حركة 20 فبراير'. إذا كنت مُحِقّا، أذكر لي الأشياء التي تَدّعي أنت أن شباب 'حركة 20 فبراير' يجهلونها !

إبراهيم : لا أحتقر أي شخص أو جماعة. أنا أتكلم عن ظواهر مُجتمعية. الحماس النضالي، أو الاستعداد للتضحية، ضروري. لكنه لا يكفي وحده. المشكلة تَكْمُن في النقص الحاصل في المعرفة، أو في الخبرة، أو في النضج السياسي. تصور مثلا جماعة من المناضلين يطالبون ب "نزاهة الانتخابات"، أو ب

"استقلال القضاء"، أو ب "مكافحة الفساد"، أو ب "خلق مناصب شغل"، إلى آخره. طَيّب. لكن، إذا لم تكن هذه الجماعة من المناضلين تتوفر على أفكار عملية، واضحة، دقيقة، ومعمّقة، حول كيفية إنجاز كل مطلب من بين هذه المطالب السابقة، وحول إجراءاتها القانونية، وحول كيفية تمويلها، وحول سبل مراقبة تطبيقها، فإن هذه المطالب يمكن أن تبقى مجرد كلام غير قابل للإنجاز.

آدم : أووووووه ! كلامك يزعجني ! كأنك تهتم بالسلبيات أكثر ممّا تهتم بالإيجابيات !

إبراهيم : يا أخي، لكي يكون مناضل ما فعالا في نضاله، يلزمه أن لا يقنع بأن يكون مناضلا مُبتدئا، أو هَاوِيا، أو حِرفيا، أو ضعيف الخِبرة. بل عليه أن يحاول أن يكون مُحترفا. عليه أن يجتهد لكي يكون عالِما في مجال تغيير المجتمع أو تدبيره. صحيح أنه يصعب تَوَفّر هذه الخبرة لدى كل المناضلين. لكن، ينبغي أن تتوفر هذه الخبرة، على الأقل، لدى حَدّ أدنى من المناضلين. ألا تلاحظ معي، مع كامل الأسف، أن نسبة هامة من مناضلي 'حركة 20 فبراير'، (بل وحتى جزءا هاما من أعضاء الأحزاب السياسية الأخرى، بما فيها الأحزاب الثورية أو اليسارية)، بعفويتهم الشبابية، وباعتزازهم

بأنفسهم، يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء، وأنهم يُتْقِنون جميع الخبرات السياسية اللازمة ؟ لكن ممارستهم في الواقع تُبيّن أن خبراتهم لا تزال أقل مِمّا هو مطلوب.

آدم : أنا لا يعجبني الوقوف عند المظاهر السلبية. ما يهمني هو فقط الحركة، والحماس، والعمل. أريد العمل، وأرفض الكلام، وأكره النظرية. أنا لا أتحمّل كثرة المناقشات السياسية، أو كثرة النظرية.

إبراهيم : أنت تُفَضّل الفعل، ولا تتحمّل التفكير في الفعل ! لكن أُنْظُر، ألا ترى أن **النضج السياسي** لا زال مبتدئا لدى الكثيرين من المناضلين ؟ إنهم يكتفون بقراءة الجرائد الخفيفة، أو يقتصرون على رؤية الفيديوهات المصورة، أو ينفرون من قراءة الدراسات الدّقيقة، أو الشهادات المُعمّقة، أو الكتب السياسية الجِدّية. إنهم لا يحاولون الاستفادة من المناضلين القدامى الذين سبقوهم إلى ميدان النضال السياسي. سواء تعلق الأمر بتجارب نضالية وقعت داخل المغرب، أم خارجه. فَكّر معي ! ألا يُستحسن أن يستفيد كل المناضلين من إيجابيات ومن أخطاء المناضلين القدامى ؟ وَإِلاّ، فإن الأمر الأكثر احتمالا، هو أن يكرر المناضلون الحاليون تجارب نضالية مشابهة

للتجارب الماضية، بما فيها من أخطاء، أو نقائص، أو حماقات، وذلك سواء عن وعي، أم بدون وعي.

نقد الأحزاب السياسية

آدم : أنت أيضا تبالغ في كلامك هذا ! أظن أنك لا تحسّ بكل طاقات وقدرات 'حركة 20 فبراير'. قد يكون كلامك تعبيرا على غيرة المناضلين المسنين تجاه المناضلين الشباب. كل مراقب يحضر مظاهرة 'حركة 20 فبراير' يحسّ بقوتها، ويشهد بزخمها، وبعظمتها. وكل ملاحظ يدرك أنها تؤثر على المشاعر العميقة للشعب. ويدرك أن هذه الحركة قادرة على تحقيق إنجازات لم تقدر أجيال المناضلين الثوريين القدامى على تحقيقها.

إبراهيم : لا يوجد تنافس، أو تناقض، بين المناضلين الشباب والمناضلين المسنين.

آدم : لكن أنت تدعي أن 'حركة 20 فبراير' فيها نقائص، أو أن مناضليها يرتكبون أخطاء سياسية. فما هي حُجَجُك على هذه الاتهامات ؟

إبراهيم : لا تنزعج ! هذا مجرد نقاش. أعطيك مثلا. الملاحظ يفترض أن مناضلي 'حركة 20 فبراير' هم كلهم مخلصون، نزيهون، تقدميون، ديمقراطيون،

وثوريـون. وعنـدما تـرى إتحـادهم أو نضـالهم خلال المسـيرات الشـعبية، تحـس فعلا بعظمـة هـذه الحركـة الجماهيريـة، وتلمـس قـدرتها علـى تعـبئة جمـاهير الشـعب. لكـن عنـدما يحضـر الملاحـظ عـدة مـرات إلى 'الجمع العـام' الـذي تعقـده 'حركـة 20 فـبراير'، يمكـن أن يلاحظ مَظاهِر سلبية ومُعبّرة. وعندما ترى كيف يناقش عدد من مناضلي 'حركـة 20 فـبراير'، وكيـف يتصـارعون فيما بينهم، يمكن أن تلاحظ أن بعض هؤلاء المناضلين لا يحترم قواعد النقاش الديمقراطي. أو ترى أن بعضـهم يريد فرض تـدخله، أو يريـد تغليـب رأيـه بأسـاليب غيـر شـرعية. أو تـرى بعـض المناضـلين يحـاول، بِحِيّـل غيـر نزيهـة، تمريـر قـرارات مُعـدّة سـلفًا داخـل حزبهـم. أو تلاحـظ أن أمنيـة بعـض المناضـلين هـي أن يصـبح مسـئولاً، أو زعيمًـا. أو تُلاحـظ أن مُبْتَغَـى بعـض المناضلين هو تغليب حزبهم السياسي، أو فرض سيطرة جماعتهم الدينية، أو إقامة سيطرة تيارهم الفكري.

آدم : أووووووف ! لماذا تريد دائما إبراز المسـائل السلبية ؟ هذه أمور طبيعية !

إبراهيم : وهـل تريـد أن نُعَظّـم الإيجابيـات، وأن نَنْكُـر السـلبيات ؟ لا يـا مُناضـل ! هـذه انحرافـات سياسية ! هدف المناضل هو أن يتعاون مع المناضـلين

"لمـاذا لا تقـدر بعـد 'حركـة 20 فـبراير' علـى إسـقاط الاسـتبداد ؟" (صـيغة 12) ، عبـد الرحمـان النوضـة.

الآخريــن، لا أن يَغْلُبَهــم، أو أن يُسَــيطر عليهــم، أو أن يُهَمّشهم. وهدف الحزب الثوري هو أن يحقق الثورة، لا أن يُهيمن على كل شيء في المجتمع (مثلما حدث في تجربة يوسف اسطالين في الاتحاد السوفياتي السابق). وهدف الحزب الديمقراطي هو أن يساهم في تحقيق الديمقراطية لفائدة الشعب، وليس أن يصبح حزبا مسيطرا على كل شيء في الساحة السياسية. وهدف الجماعة الدينية هو تنمية الخصال الحميدة، وليس استغلال الدين في السياسة. وهدف كل جماعة تقدمية، هو أن تشارك في إنجاز تقدم المجتمع، وذلك لصالح الشعب، وليس أن تحقق هذه الجماعة غَلَبَتها، أو أن تُنَفّذ المصالح السياسية الخاصة بها. ألا تلاحظ، مع الأسف، أن بعض المناضلين يتصرفون أحيانا وكأن هدفهم، ليس هو النضال ضد الفساد، أو ضد الاستبداد، أو ضد الاستغلال، أو ضد الظلم، وإنما هو توظيف الحركة النضالية، أو استغلالها، أو التّحَكُّم في حركة الجماهير، بهدف تعويض استبداد غيرهم باستبدادهم الخاص ؟ ألا تلاحظ أن بعض المناضلين يميلون أحيانا إلى محاولة الانفراد بدور القيادة، أو الانفراد بدور المسؤولية، أو بالزعامة ؟

آدم : بدلا من أن نُرَكّز النقد على المناضلين الذين يحاولون التنافس على اقتسام المسؤوليات، أو يحاولون الإنفراد بالقيادة، أو يسعون إلى نيل الزعامة، وبعضهم يستحقها، بدلا من ذلك، علينا أن نَنْتَقِد نوعا ثَانيا من المناضلين، هم أكثر عددا، وهم الذين لا يشاركون في مسيرات 'حركة 20 فبراير'، ولا يفعلون شيئا، ولا يريدون شيئا، ولا يطمحون إلى أي شيء.

إبراهيم : معك الحق ! يجب أن يشمل النقد هذين النوعين معًا من المناضلين.

آدم : فلماذا تنتقد المناضلين المُحزّبين أكثر مما تنتقد المناضلين غير المُحزّبين ؟

إبراهيم : لأن تنامي 'حركة 20 فبراير' يُحتمل أن يأتي من إسهامات المناضلين المُحزّبين، أكثر مما سيأتي من مساهمات المناضلين غير المُحزّبين. ولأن أخطاء المناضلين المُحزّبين يمكن أن يكون لها وَقْع أكثر سلبيةً من وقع أخطاء المناضلين غير المُحزّبين.

آدم : بعبارة أخرى، أنت تدّعي أن انتصار 'حركة 20 فبراير' مشروط بجودة مساهمات المناضلين المنخرطين في قوى اليسار. وإذا ما فشلت 'حركة 20 فبراير'، فإن فشلها سيأتي من ضعف مساهمات

مناضلي قوى اليسار. وليس من ضعف مساهمات المناضلين غير المُحزّبين.

إبراهيم : بالتأكيد !

آدم : أعطيني ولو مثال واحد.

إبراهيم : مثلا، يمكن أن تلاحظ أنه، خلال الجمع العام لحركة 20 فبراير، عندما يحس بعض المناضلين المستقلين (أو غير المُحَزّبين) أن مناضلين آخرين من حزب ما، أو من جماعة مَا، يحاولون السيطرة على 'حركة 20 فبراير'، فإن بعض المناضلين غير المُحزّبين يرددون شعار : "لا أحزاب، لا جماعات، حركة أولاد الشعب" ! وهذا مُعبّر. ومعناه هو أن "حركة 20 فبراير" أنتجها أبناء الشعب، وهي ملك لهم، وليست ملكا لحزب ما، أو لجماعة ما. وبعض المناضلين غير المُحزّبين يحسّون أحيانا وكَأنّ هَمّ بعض المناضلين المُحَزّبين، ليس هو محاربة الاستغلال والاستبداد، وإنما هو أن يَحُلّوا مَحَلّ المستبدين، أو محلّ المستغِلين الحاليين. حيث يظهر المناضلون المُحزّبون وكأنهم يدافعون عن حزبهم أكثر ممّا يُدافعون عن القِيَم النضالية. وأُسَمّي هذا النوع من التصرف ب "الحَلَقِيّة السياسية" (le sectarisme). وهذه "الحلقية" تعيد إنتاج "العصبية"، أو "الطائفية"،

لكن في المجال الحزبي أو السياسي. والأشخاص "الحَلَقِيّون" يحاولون تَغْلِيف "حَلَقِيّتهم" هته بخطاب سياسي تقدمي أو دِيني. وهذه "الحلقية" تُؤَجّجُ التناقضات فيما بين المناضلين، وتعرقل النضال الجماهيري المشترك، وتدفع الجماهير إلى النّفُور من المشاركة في النضال.

آدم : لكن حتى بعض المناضلين غير المُحزّبين يميلون أحيانا إلى استعمال أساليب في النقاش، أو في الصراع السياسي، تكون متناقضة مع مباديء الديمقراطية أو مع العدالة.

إبراهيم : فعلا ! لأن التكوين السياسي للمناضلين غير المُحزّبين غالبا ما يكون ضعيفا.

آدم : أنت تنتقد عدة مرات "قوى اليسار". فما هي الأحزاب التي تقصدها عبر كلمة 'اليسار' ؟

إبراهيم : لا نتكلم هنا عن فئة الأحزاب التي تَأْتَمِر بأوامر الدولة. أما الأحزاب التي تتوفر على حدّ أدنى من الاستقلالية تجاه الدولة، فنقسمها إلى ثلاثة أقسام : يمين، وسط، ويسار. "حزب العدالة والتنمية" هو حزب "إسلامي"، يميني، ومحافظ. وقد أصبح موقع "حزب الاستقلال"، وكذلك موقع "حزب التقدم والاشتراكية"، في اليمين. أما موقع "حزب الاتحاد

الاشتراكي" فأصبح يتأرجح بين الوسط، ويسار الوسط. طبعًا، يوجد داخل "حزب الاتحاد الاشتراكي" أفراد أو جماعات تؤمن بقيم اليسار. لكن "حزب الاتحاد الاشتراكي" لم يعد في شموليته حزبا يساريا. أما النقابات (مثل "الاتحاد المغربي للشغل"، أو "الكُنْفِدرالية الديمقراطية للشغل")، فلها وضع خاص. لأن المنطق الذي يُحرّكها هو منطق نقابي، وليس منطقا حزبيا. وموقعها يتقلّب هو أيضا بين الوسط، ويسار الوسط.

آدم : وما هي الأحزاب التي تعتبرها في اليسار ؟

إبراهيم : الأحزاب التي تدخل ضمن اليسار، هي : "حزب الطليعة"، و"حزب النهج"، و"الحزب الاشتراكي الموحد"، و"حزب المؤتمر الاتحادي". وكذلك تيارات، أو تنظيمات، أو جماعات أخرى صغيرة، متعددة، لها وجود، أو لها تأثير متواضع. وقوى اليسار هي وحدها التي تساند أو تدعّم عمليا 'حركة 20 فبراير'. أما الجماعات الإسلامية، فحالتها معقدة نسبيا. مثلا "جماعة العدل والإحسان"، هي الوحيدة من بين الجماعات الاسلامية التي ساندت 'حركة 20 فبراير'، وشاركت مؤقتا فيها. لكنها انسحبت منها (في 18 دسمبر 2011، بعدما عَيّن الملك عبد الإلاه بن كيران،

زعيم "حزب العدالة والتنمية" الإسلامي، رئيسا للوزراء). ويظهر أحيانا أن موقع "جماعة العدل والاحسان" يوجد في يسار الوسط. لكن مواقفها، وممارستها السياسية، تتغيّر باستمرار.

آدم : يظهر أحيانا كأنك تَدّعي أن قوى اليسار لا تُشارك، أو لا تتعاون، داخل 'حركة 20 فبراير' ؟

إبراهيم : فعلا، مشاركة قوى اليسار في 'حركة 20 فبراير' ظَلّت محدودة، ضعيفة، هزيلة، أو غير مُمَنْهَجَة. بعض قوى اليسار لا تحثّ كل مناضليها على النزول إلى الشارع، ولا تشجعهم على المشاركة في كل مظاهرات 'حركة 20 فبراير' الدورية، التي تجرى خلال كل يوم أحد. وتبرّر أحزاب اليسار سلوكها هذا بكونها تركّز على أنشطتها الخاصة بها. وتعاون، أو تنسيق قوى اليسار، فيما يخص 'حركة 20 فبراير'، لا زال ضعيفا، ودون المستوى اللازم.

آدم : ألا تتناقض في كلامك ؟ من جهة تقول : أن الأحزاب تحاول احتواء 'حركة 20 فبراير'. ومن جهة ثانية تقول : قوى اليسار لا تشارك بما فيه الكفاية في 'حركة 20 فبراير'. أليس هذا تناقض ؟

إبراهيم : نعم. هذا تناقض، لكنه تناقض موجود موضوعيا في الواقع. الظاهرة الأولى هي أن كل حزب

يشارك في 'حركة 20 فبراير' تجعله طبيعته الحزبية يميل إلى محاولة احتواء 'حركة 20 فبراير'. والظاهرة الثانية هي أن قوى اليسار لا زالت – إلى حد الآن – لا تشارك بما فيه الكفاية في 'حركة 20 فبراير'، وذلك لأسباب متعددة، غامضة، أو مُعقّدة. إنها لا تَحُثّ مجمل مناضليها على المشاركة في كل مسيرات 'حركة 20 فبراير'. ولا تُشجّع أطرها على تحمل المسؤولية في لجان 'حركة 20 فبراير'.

آدم : هل تقصد أن قوى اليسار بالمغرب لا تُلِمّ بكل المعاني التاريخية والاستثنائية ل "حركة 20 فبراير" ؟

إبراهيم : نعم ! الحركة الجماهيرية، الثورية، المناهضة للاستبداد وللفساد، التي إِشْتَعلت بشكل شبه مُتَزَامِن في مجمل بلدان العالم العربي، لم يسبق أن حدث مثيل لهذه الحركة في التاريخ (إذا استثنينا حالة انهيار الأنظمة الشيوعية، بعد انهيار "الاتحاد السوفياتي" بعد سنة 1989). و تظهر قوى اليسار بالمغرب كأنها لم تستوعب جيدا أهمية هذه الحركة. والدَّلِيل على ذلك هو أنها، وإلى حَدّ الآن، لم تُدْخل تعديلات على خطوطها السياسية، أو على برامجها، أو على أساليب

عملها. إنها تستمر بأفكارها وأساليبها القديمة، وكأن شيئا لم يقع.

آدم : أعطيني ولو مثال واحد ملموس.

إبراهيم : أعطيك عدة أمثلة. أولا : مُناضلو قوى اليسار لا يشاركون كلهم في مظاهرات 'حركة 20 فبراير'. ثانيا : قوى اليسار بالمغرب لم تُقْدِم بعد على تقييم، وتطوير، وتقويم، أفكارها وأساليبها النضالية القديمة. ثاليا : بعض قوى اليسار مشغولة بمؤتمراتها، وباستقطاباتها، أكثر مِمّا هي مشغولة ب 'حركة 20 فبراير'.

آدم : هذه الأمثلة غير كافية.

إبراهيم : أعطيك مثال آخر. أحد الأحزاب أو التيارات في اليسار طرح فكرة أن لا تتجاوز 'حركة 20 فبراير' "سقف الملكية البرلمانية" في مطالبها. ومفهوم "السقف" يعني : "الحد الذي لا يجوز تجاوزه". وفكرة "السقف" هذه هي غير سديدة، لأنها لا تترك ل 'حركة 20 فبراير' حرية التفاعل مع التطورات الممكنة في المجتمع. وفكرة "السقف" تُذكّرنا بمفهوم "ثوابت الأمة"، الذي تُروّج له القوى المُحافظة. فتصبح "ثوابت الأمة" هذه هي السّلاَسِل التي تُكَبّل الشعب، وتمنعه من التّقدّم، أو من التحرّر.

آدم : أراك تَشْكُو من كون "سقف الملكية البرلمانية" منخفض جدا ! ها ها ها ها !

إبراهيم : بالمقابل لذلك، يوجد مناضلون مُتَحَزّبُون يطرحون، ومنذ الآن، شعار "إسقاط النظام". وهو شعار غير سديد، لأنه سابق لأوانه، ولأن شروط طرح هذا الشعار لا تتوفر بَعْدُ. ومن بين شروطه : أن يصبح المتظاهرون يُعَدّون بمئات الآلاف، أو بالملايين، وليس بالآلاف، وأن تتوفر قوى اليسار على بنيات تنظيمية قادرة على تعويض النظام القائم.

آدم : أراك تَشْكُو من كون شعار "إسقاط النظام" مرتفع جدا ! ها ها ها ها !

إبراهيم : نعم ! يمكن أن تضحك ! نحن نحتاج إلى المُرونة ! 'حركة 20 فبراير' بالمغرب تريد إقامة الديمقراطية. فإذا قبل النظام القائم بأن يتحول إلى 'ملكية برلمانية' حقيقية، سنرحّب بذلك. و"كفى المؤمنين شَرّ القتال". لكن إذا تَعَنّت النظام في رفضه لهذا المطلب، فإن الشعب لن يقبل بأن يستمر إلى ما لا نهاية في المطالبة ب "ملكية برلمانية". بل سَيَسْتَنْتج الشعب بأن هذا النظام عاجز على التّطوّر، وغير قابل للإصلاح، وسيصبح شعار 'الجمهورية البرلمانية' واردًا ومشروعًا.

آدم : هل تدّعي أن قوى اليسار لا تخدم لصالح 'حركة 20 فبراير' ؟

إبراهيم : لا، قوى اليسار تخدم لصالح هذه الحركة، لكن أتمنى أن تهتم قوى اليسار أكثر بالاستقطاب لصالح 'حركة 20 فبراير'، بدلا من أن تُرَكّز على الاهتمام بالاستقطاب لصالح تنظيماتها الخاصّة. الظرفية السياسية الحالية استثنائية، ويُفترض في كل قوى اليسار أن تُرَكّز جهودها على تقوية صفوف 'حركة 20 فبراير'.

آدم : لكن قل لي صراحة، هل لك أمل ما في 'حركة 20 فبراير' ؟

إبراهيم : بالتأكيد ! 'حركة 20 فبراير' هي حركة نضالية من نوع جديد. يمكن أن يكون بمقدورها أن تخرجنا من **المنطق الحزبي الضيق** القديم، والذي كَبّلَ طاقات الجماهير ومبادراتها النضالية خلال عدة عقود متوالية. ما هو جوهري في 'حركة 20 فبراير' هو أنها ترفض **المنطق الحزبي الضيّق**، وتعمل بـ**منطق النضال الجماهيري المشترك** فيما بين **كل مكونات الشعب** التّقدّمية. لهذا يلزم أن نَصُون 'حركة 20 فبراير'، وأن نحميّها، وأن نُدَعّمها، وأن نساهم في تقويّتها.

آدم : وهل تعترف بقوة 'حركة 20 فبراير' وقُدراتها ؟

إبراهيم : طبعا ! لكن قوة 'حركة 20 فبراير' لا زالت صغيرة أو محدودة. يمكن بالتأكيد أن تتعاظم أكثر في المستقبل. لكن ضعف "حركة 20 فبراير" يأتي من كون بعض الأحزاب، أو التنظيمات، أو التيارات المشاركة، أو المُدَعِّمة لحركة 20 فبراير، تتنافس فيما بينها أكثر مِمّا تتعاون. مرض "الحلقية" (le sectarisme) أصاب مجمل الأحزاب والتنظيمات والتيارات والجماعات والأفراد المناضلين، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. "الحلقية" السياسية هي نوع من "العصبية القبلية" في الميدان السياسي. كل طرف يريد تَغْلِيب مصالحه السياسية الخاصة على المصالح العامة. غاية كل مناضل "حلقي" تصبح هي أن يتغلّب حزبه أو جماعته على الأحزاب أو الجماعات الأخرى التي تنافسه. وليست غايته الأولى هي تحقيق العدل، أو الديمقراطية، أو تغيير المجتمع. وما دامت هذه الانحرافات موجودة، فإن 'حركة 20 فبراير' ستبقى ضعيفة.

آدم : لماذا تنتقد الجماعات والأحزاب المتواجدة داخل 'حركة 20 فبراير' ؟ أُتْرُك كُلّ واحد منها يفعل ما

يريد. كل مناضل، وكل حزب، وكل جماعة، هو حُرّ في أن يرفع الشعارات التي يريد، وحُرّ في أن يقوم بالمبادرات التي يريد.

إبراهيم : لا يا مناضل ! هذه الإباحية خاطئة وخطيرة على 'حركة 20 فبراير'. إذا لم تكن 'حركة 20 فبراير' مُوحّدة ومنضبطة، فإنها ستموت. لا تنسى أن 'حركة 20 فبراير' تتوفر على أرضيات مكتوبة، وعلى مبادئ، وأهداف، وقوانين، وقواعد، وضوابط، ولجان، وتصويت، وهيئات. وإذا تجاهلنا هذه الضوابط، بمعنى أنه إذا سمحنا لأي فرد، أو لأي حزب، أو لأية جماعة، بأن يفعل ما يريد، فإن هذا سيؤدي حتما إلى الفوضى، وإلى العرقلة، وإلى الخلافات، وإلى النّزاعات، وإلى الانقسامات. وقد يؤدي في النهاية إلى تفجير 'حركة 20 فبراير'، ثم موتها. وهذا ما يريده نظام الاستبداد وأنصاره. لذا، فإن كل المشاركين في 'حركة 20 فبراير' مُلزمون بحد أدنى من الانضباط لضوابط 'حركة 20 فبراير'، ولقرارات جمعها العام.

آدم : لكن قوى اليسار تشارك في 'حركة 20 فبراير'.

إبراهيم : بالتأكيد ! بدون مساهمة قوى اليسار في 'حركة 20 فبراير'، فإن هذه الحركة لا يمكن أن

تستمر في الوجود. لكن يجب على قوى اليسار أن تُساهم في 'حركة 20 فبراير' بشكل غير مباشر. لأن 'حركة 20 فبراير' هي **حركة نضال جماهيري مشترك**. وليست حركة حزبية. وهي حركة مفتوحة، وجماهيرية، وديمقراطية، ومستقلة عن الأحزاب وعن التنظيمات. يشارك فيها المواطنون بصفتهم الفردية، وليس بصفتهم الجماعية، أو الحزبية، أو الدينية. و'حركة 20 فبراير' ليست تحالفا فيما بين أحزاب أو جماعات أو تيارات. وإنما هي **حركة نضال جماهيري مشترك**. وهي مفتوحة لكل المواطنين الذين يلتزمون بالنضال ضد الفساد، وضد الاستبداد، ومن أجل الكرامة، والحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية.

آدم : إذن، أنت تعترف أن الأحزاب، أو التيارات التقدمية، تتعاون إلى حَدّ ما داخل 'حركة 20 فبراير' !

إبراهيم : المستوى الحالي لتعاون قوى اليسار داخل 'حركة 20 فبراير' غير كاف ! وبعض المناضلين يُبذرّون جزءا هاما من طاقاتهم في مجال التسابق نحو القيادة، أو نحو الزعامة. بينما الزعامية تُؤَدّي دائما إلى تقليص قدرات المناضلين القاعديين على المبادرة النضالية. ولا زال التّشاور أو التنسيق، فيما بين القوى

السياسية الثورية (المشاركة في 'حركة 20 فبراير')، لا زال ضعيفا، أو غير كاف. كما لا زال التعاون في ما بين تلك القوى حِرَفِيّا، أو مَغْشوشا ! والكثير من المشاركين في 'حركة 20 فبراير' يرفضون الانضباط ! والبرنامج العملي المشترك على المدى المتوسّط غير موجود ! والأهداف النضالية العملية القريبة غير واضحة، أو غير محدّدة أصلا ! والأساليب النضالية لا تدرس بما فيه الكفاية ! والقضايا السياسية التي يثيرها وجود "حركة 20 فبراير" لا تناقش بالعمق المطلوب ! بل بعض المناضلين يرفضون مطلقا نقاشها ! لأنهم يظنون أن كل نقاش سياسي هو "مجرد تَرَف فكري لا فائدة منه" ! أو يعتبرون أن "كل نقاش سياسي يثير دائما الخلافات، ويؤدي إلى تشتيت القوى" ! والبعض الآخر يرفض نقاش أية أرضية، أو دراسة، أو تحليل، وذلك بدعوى أن "النظرية هي ضياع للوقت، وأن المُهم هو العمل والفعل" ! ونلاحظ أحيانا أن النوايا السياسية لدى بعض المناضلين تبقى مُتذبذبة، أو مُزْدَوِجة، أو غير ثابتة، أو غير صادقة ! وسوء التفاهم فيما بين الفاعلين داخل "حركة 20 فبراير" كبير! والآراء المُسبقة (préjugés) على بعضهم البعض كثيرة ومغلوطة !

نقد التيارات الإسلامية

آدم : ربما أنك تنتقد هنا التيارات الإسلامية ؟

إبراهيم : أنتقد جميع الأحزاب، بما فيها الأحزاب اليسارية، وحتى الجماعات الدينية. المشكل في التيارات "الإسلامية" فيه عدة جوانب. الجانب الأول هو أن الجماعات "الإسلامية" لا تشارك في مظاهرات ونضالات 'حركة 20 فبراير' بالقدر المُرضي. ومن بين 4 أو 5 جماعة "إسلامية" موجودة في المغرب، فإن جماعة "العدل والإحسان" هي الوحيدة التي ساهمت في البداية، وإلى جانب قوى اليسار، في 'حركة 20 فبراير'. ثم قرّرت الإنسحاب منها كليا (في 18 دسمبر 2011). وفي حالة سقوط نظام الإستبداد أو خلخلته، فإن هذه الجماعات "الإسلامية" هي المؤهلة للفوز بالمراتب الأولى في الإنتخابات (مثلما حدث في تونس، ومصر، في بداية سنة 2012) وقد كانت "حركة 20 فبراير" من بين العوامل الحاسمة التي ساعدت "حزب العدالة والتنمية" الاسلامي على الفوز في الانتخابات البرلمانية، وعلى الصعود إلى رئاسة الحكومة ! لأن الشعب يُقدّس الدّين، ولأن الجماعات "الإسلامية" تستغلّ الدّين في السياسة. الشيء الذي يدفع جزءا هامّا من الجماهير إلى التّصويت لصالح الأحزاب أو الجماعات التي تدّعي

الالـتزام بالـدّين. ورغـم أن ظهـور الأحـزاب "الإسـلامية" حـديث نسـبيا، ورغـم أن مناضـلي اليسـار هـم الـذين تحمّلوا (ولا زالـوا يتحمّلـون) أكـبر قسـط مـن تضـحيات النضـال السياسـي الثـوري، وعلـى مـرّ عقـود طويلـة ومُتواليّـة، فـإن اسـتلاب (aliénation) الشـعب بالـدّين يجعلـه يُفضّـل "الإسـلاميين" علـى غيرهـم خلال الانتخابات ! فتستولي الجماعات "الإسلامية" على نتائج جهود مناضلي اليسار ! والاحتمال الأكبر هو أن هذه الظاهرة المُجتمعية سوف تستمر خلال الفترة التاريخية الحالية !

آدم : وما هو الجانب الآخر ؟

إبراهيـم : الجـانب الثـاني هـو أن الجماعـات الإسـلامية تَـدّعي تبنـي الديمقراطيـة، لكـن هـدفها المستقبلي الأساسي هـو فـرض تّـديُّن مُعَيّـن علـى كـل المجتمع ! الشيء الذي سيؤدي إلى استبداد سياسي من نوع جديد ! الجانب الثالث هـو أن التيـارات الإسـلامية تعتقد عادة أن أسباب مشاكل المجتمع تنبع من ابتعاد النـاس عـن تَـدَيُّن صـحيح مزعـوم. وتعتقـد التيـارات الإسلامية تارة أخرى أن مشاكل المجتمع تأتي من كون المواطنين يتبنّون مناهج الحداثة، ويسـتعملون أسـاليب عصرية. ويتهم الإسلاميون هـذه المناهج الحديثـة بأنهـا

"غَرْبية" صِرْفَة، وأنها تُناقض الإسلام. ولا تُقِرّ هذه التيارات الإسلامية أن مشاكل المجتمع تَنْبُع، في الحقيقة، من نوعية تنظيم المجتمع، أو من شكل نظامه السياسي، أو من غياب التّضامن المُجتمعي، أو من غياب العدالة في اقتسام الإنتاج الوطني.

آدم : الحوار بين الإسلاميين من جهة، ومن جهة أخرى الحَدَاثِيّين، أو العَقْلانيين، ليس سهلا. ويظهر أن غالبية المناضلين يرفضون حاليا فتح هذا الحوار، أو يخافون من دخوله، نظرا لصعوبته، أو تلافيا للخلافات الحادّة التي قد يؤدي إليها.

تنبيه إلى محاولات أجهزة القمع

إبراهيم : يوجد مشكل آخر. حيث أن قوى القمع تظل متربصة بكل حركة نضالية، وبكل مناضل. وعدد الأجهزة القمعية، أو المخابراتية، في المغرب، كبير. وكل واحد من هذه الأجهزة القمعية يرسل مُصوّريه إلى مسيرة 'حركة 20 فبراير'، ويبعث مُخبريه إلى الجمع العام. هؤلاء المصورين لا يصورون المتظاهرين من الخلف (مثلما يحدث في تصوير مسيرات سوريا)، وإنما يركزون على تصوير وجوه المناضلين. والمخبرون في الجمع العام 'لحركة 20 فبراير' يجمعون المعلومات

عـن المناضـلين وعـن الحركـة. والعناصـر المُنْدَسّـة فـي الجمـع العـام تحـاول عرقلـة أعمـال 'حركـة 20 فـبراير'، وتسـعى إلـى خلـق الأزمـات داخلهـا. هـدف العناصـر المندسـة هـو تفجيـر 'حركـة 20 فـبراير' مـن الـداخل. والعناصر "البَلْطَجِيّة" تعمـل كـل مـا فـي وسعها للهجـوم علـى المناضـلين، واسـتفزازهم، وإثـارة الفوضـى، أو التفرقة، أو المشاجرات، أو العنف. وما دامت 'حركة 20 فـبراير' "جماهيريـة"، و"مفتوحـة"، فـإن تَسَـرُّب هـذه العناصر المُنْدَسّة سيبقى موجودا.

آدم : ينبغـي أن لا نتوّقـع مـن الأجهـزة القمعيـة سوى هذه التدخّلات التخريبية !

إبراهيم : من بين ميزات العناصـر المُنْدَسّـة أنهـا لا تنضـبط لمُسَـيّر الجمـع العـام، أو لقراراتـه. ولا تلـتزم بأخلاق، ولا تحمـل مبـاديء، ولا تـدافع عـن اقتراحـات نضالية، وإنمـا تكتفي فقـط بالقيـام بأفعـال ذات طبيعـة "بَلْطَجِيّة". ومُعظـم الأفعـال المُعَرْقِلـة، أو المُشِـينَة (الـتي تحدث داخل الجمع العـام، أو خلال المسـيرة) تـأتي مـن هـذه العناصـر المُنْدَسّـة. وهـي عناصـر مـأجورة لـدى الأجهـزة القمعيـة، أي مُرتزقـة. وهـدف الأجهـزة القمعيـة هو البحث عن المناسبة الملائمة لسحق كـل المناضـلين المخلصين. وهذا العامل القمعي يزيد في تعقيـد الأمـور.

ويستلزم وحدة كل المناضلين الحقيقيين. ويَتطلّب منهم أن يواجهوا بحزم، وبصرامة، كل هذه العناصر البوليسية المُنْدَسّة، بهدف فضحها، وعزلها، وطردها. وسيظل النظام القائم يحاول تطبيق نهجه القديم : "فَرّق تَسُد". وسيحاول ضرب جماعات مناضلة بأخرى، للقضاء عليها جميعا.

نقد ضُعف التّفاعل الثوري فيما بين المناضلين، وفيما بين الأحزاب

آدم : بعض ملاحظاتك معقولة، لكن بعض ملاحظاتك الأخرى لا تعجبني. أحيانا تبالغ في المظاهر السلبية إلى حَدّ أنك تظهر وكأنك تريد تحطيم 'حركة 20 فبراير' بدلا من تقويتها. مثلا، لماذا تبالغ في خطورة بعض المشاكل التي هي الآن ثانوية ؟ لماذا تبحث عن قضايا هي غير ضرورية الآن ؟ لماذا تريد دائما أكثر، أو أحسن، مِمّا هو موجود ؟ أخشى أن يصبح نقدك لحركة 20 فبراير في خدمة النظام القائم أكثر مِمّا هو في خدمة هذه الحركة.

إبراهيم : **الضّرر لا يأتي أبدًا من النّقد**[2]. ولو كان هذا النقد جارحا، أو مبالغا فيه، أو حتى خَاطِئا. وإنما **الضّرر يأتي دائما من الأخطاء** المُرتكبة، ومن الانحرافات المنتقدة. فاستمرار الأخطاء أو الانحرافات، هو الذي يؤدي إلى سوء التفاهم فيما بين المناضلين، أو يؤدي إلى النقائص، أو إلى الضّعف، أو إلى الرّداءة، أو إلى الخسائر، أو إلى الضحايا، أو قد يؤدي إلى الفشل التام.

آدم : لا تعجبني بعض انتقاداتك ل 'حركة 20 فبراير'. أخاف من أن يساهم نقدك هذا في إضعاف أو تحطيم هذه الحركة الفتيّة، الناشئة. بدلا من تشجيع 'حركة 20 فبراير' أو تعظيمها، أنت تُشكّك في قدراتها، أو تنقص من قيمتها، أو تبالغ في نقد نقط ضعفها.

إبراهيم : كَلاّ ! على عكس ظنك هذا، فإن **تقوية 'حركة 20 فبراير' تستلزم، من بين ما تستلزم، نقد نقائصها أو أخطائها**. النقد الجيّد يقوي، ولا يُحطّم. أنظر مثلا إلى الأحزاب التي تنبذ النقد داخلها، أو تُحرّمه، أو تتهرب منه، أو ترفضه، فإنها تنتهي، في آخر المطاف، إلى التّخلف، ثم إلى الرّداءة، ثم إلى الزّوال.

---

[2] أنظر معاني النقد وفوائده في فصل : "النقد"، في كتاب "Le Politique". ويمكن تنزيل هذا الكتاب بالمجان من موقع : "http://livreschauds.wordpress.com".

النقد ضروري وإيجابي، بشرط أن لا يتحول إلى مواجهة عَدائية.

آدم : أنت مُتشائم. يظهر أنك تشك في كل شيء، وأحيانا تظهر متذبذبا في مواقفك. بل تظهر أحيانا أنك أكثر قربا إلى المحافظين، أو إلى اليمين. وتقلل من قيمة 'حركة 20 فبراير'. وتحتقر قدرات القوى المشاركة في هذه الحركة الجماهيرية. أنت تكثر الكلام، ولا تقترح بدائل عملية واضحة.

إبراهيم : لا تقلق من الجدل ! ولا تنفعل أمام النقد ! أنا لا أريد إثارة منافسات أو مزايدات لا فائدة منها. الموضوع أعمق وأكبر منا جميعا. أود إثارة مشكل سياسي، أو مُجتمعي، هو في العمق مشكل عِلْمِي. لنكن واضحين. بشكل مجرد، إسقاط نظام الاستبداد والفساد بالمغرب ممكن. بل قد يحدث في ظرف يُفاجيء الجميع (مثلما حدث في تونس، ثم مصر، ثم ليبيا، ثم اليمن، في سنة 2011). لكن، لن يسقط الاستبداد إلا إذا توفرت الشروط المُجتمعية الضّرورية لسقوطه، على المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية. وما يظهر إلى حد الآن، هو أن الحركات النضالية المُكوّنة للمجتمع بالمغرب (بما فيها 'حركة 20

فـبراير')، لـم تبلـغ بعـد الحـدود الـدنيا الضـرورية الـتي تجعل إسقاط نظام الاستبداد ممكنا أو ناضجا.

آدم : هل تغيير النظام صعب إلى هذه الدرجة ؟

إبراهيم : تجارب تـونس ومصـر فـي سـنة 2011 تُـبيّن أن سـقوط رأس نظـام سياسـي مـا، لا يعنـي، ولا يـؤدي بالضـرورة إلـى تغييـر حقيقـي وجـدري فـي هـذا النظام السياسي. فما دامـت الحركـات المناضـلة داخـل مجتمع محدّد ضعيفة في مجال النّضج السياسي، أو فـي مجـال التّنظيـم، أو في مجـال القُـدرة علـى المبـادرة، أو التكيّـف، أو الإبـداع السياسـي المتواصـل، فـإن هـذه الحركـات لـن تنجـح فـي تحقيـق طموحاتهـا النضـالية أو السياسية.

هل الحراك الشّعبي في حالة صُعود، أم في حالة انحِدار ؟

آدم : أنا أستمدّ تفاءلي من اسـتمرارية 'حركـة 20 فبراير'، ومن تناميها المُستمر.

إبراهيم : لا يا رفيق ! لا تتصوّر 'حركة 20 فـبراير' كما تتمنّاها أنتَ، بـل أُنظُـر إليهـا كمـا هـي فـي الواقـع ! علـى عكـس ظنّـك، فـإن 'حركـة 20 فـبراير' لا تنمـو باسـتمرار، بـل تضـعف شـيئا فشـيئا. فَبَعـد مـرور قرابـة

سنة ونصف، فإن 'حركة 20 فبراير' لم تتقوى. بل إن عدد المُشاركين في هذه الحركة ظلّ يتناقص إلى أن أصبح غير مُرض. ومنذ انطلاقها في 20 فبراير 2011 إلى حدّ اليوم، مرّت عدّة أفواج من المواطنين و المناضلين داخل "حركة 20 فبراير". والأفراد أو الجماعات الأولى التي بادرت في البداية إلى الدّعوة إلى خلق "حركة 20 فبراير"، لم تعد اليوم (بعد قرابة عام ونصف) تشارك فيها.

آدم : ولماذا ؟

إبراهيم : ربّما لأن تلك الجماعات الأولى إشمأزت من أساليب بعض الوافدين الجدد على 'حركة 20 فبراير'. أو ربّما لأنها نَفَرَت من كيفيّة تعاملهم، أو لأنها ترفض سلوكهم في النضال. وفي الجُموعات العامّة "لحركة 20 فبراير"، غدت المناقشات تتّسم بالحدّة، وتتّصف أحيانًا بقلّة النضج السياسي، أو بضُعف المهارة السياسية، أو بالخُشونة، أو بالفَظاظة، أَو بقلّة الأدب. الشيء الذي يدفع بعض المناضلين إلى النفور من "حركة 20 فبراير". فيبتعدون عنها، ولا يرجعون إليها ثانية. وأثناء مسيرات "حركة 20 فبراير"، يقدم بعض المناضلين الشباب المُتحمّسين على مبادرات مُفاجئة، وبأساليب نضالية مُتهوّرة، أو

مُتطرّفة، أو مُستفزّة، فيتضايق منها مناضلون آخرون، أو يقرّرون إيقاف مشاركتهم في "حركة 20 فبراير".

آدم : هل تقصد أن نوعيّة الأفراد المشاركين في 'حركة 20 فبراير' قد تغيّرت مع مرور الزمن ؟

إبراهيم : نعم ! تتكون الأفواج الحديثة العاملة في "حركة 20 فبراير" في أغلبيتها من شبّان تتراوح أعمارهم بين 20 و 35 سنة. وهؤلاء الشبان هم بطبيعتهم مبتدئون في السياسة، وفي النضال. ولا تزال بعض ميزات سنّ المُراهقة تطغى عليهم. فتراهم يُجادلون بحدّة، أو يُزايدون على بعضهم البعض، أو يهاجمون بعضهم بعضا، أو يتحدّون بعضهم بعضا. ولا يعرفون أحيانا كيف يستمعون إلى المناضلين الآخرين. ويعتقدون أنهم يعرفون كل شيء، ويتصوّرون أنهم يفهمون كل شيء. ويظنّون أنهم يقدرون وحدهم على إنجاز كل شيء. وعندما ينتقدون من يُخالفهم في الرأي أو في الأسلوب، فإنهم يُهاجمونه بشكل قاس، وأحيانا بشكل عدائي، أو عنيف. وقد يحاولون تهميشه.

آدم : ألا تُبالغ في نقدك ؟ إنّك تصوّر هؤلاء المناضلين وكأنهم شُبّان مُبتدئون !

إبراهيم : بالضبط ! إن قِلّة تجاربهم النضالية، وضعف نضجهم السياسي، هي التي تجلهم يظهرون

كمُراهقين مُبتدئين. فمثلاً، عندما يُساندون أصدقائهم، فإنهم يُدافعون عنهم بذاتية قويّة، وبحماس كبير، وبانحياز واضح. ولا يتحمّل بعض هؤلاء المناضلين الشباب الخضوع لقوانين النقاش الجماعي، ولا يقبلون الانضباط لقواعد العمل المشترك. ولا يخضعون لقواعد النقاش الجماعي. يريدون الكلام في أي وقت كان. ويُصرّون على تمرير اقتراحاتهم بأساليب غير ديمقراطية. ويُلحّون على تحويل آرائهم إلى قرارات فورية ونافذة. وبعض هؤلاء المناضلين الشباب يكتشف حلاوة "الزعامة"، ويريد فورًا أن يصبح نجمًا بارزًا، ويريد استعمال الأساليب البرّاقة، أو المُتميّزة، أو الجذّابة. ومثل هذه المظاهر السلبية تدفع أفواجا متوالية إلى الابتعاد عن "حركة 20 فبراير". ولا تشجّعها على العودة إليها.

تغيير المجتمع تحكمه شروط وقوانين

آدم : منطقك مقلق. تزعجني كثيرا بكلامك عن الشروط الضرورية لتغيير المجتمع، وتقول الشروط، الشروط، الشروط ... فما هي هذه الشروط ؟

إبراهيم : لنحافظ على الهدوء في النقاش ! التّوَتّر أو الذاتية لا يُفيدان ! قد أعجِز عن توضيح هذه

الشروط. لكن صعوبة توضيحها لا يثبت أنها غير موجودة، أو أنها غير ضرورية. قد يطول الكلام حول هذه الشروط. وقد لا يصلح هذا المقام الحالي للبحث أو لاستعراض كل هذه الشروط([3]). أكتفي بإشارات، أو بأمثلة جزئية، للتلميح للفكرة. أما البَقِيّة، فعليك أن تجتهد أنت بنفسك لبلوغها. المجتمع يتكون من عدة مُكوّنات. وما دامت أغلبية هذه المكونات لا تَعِي، أو لا تريد، أو لا تتحرّك، لتغيير النظام الاقتصادي، والسياسي، والفكري، الذي يحكُمها، فإن هذا النظام لن يتغير من تِلْقاء نفسه.

آدم : وما الذي يمنع مكونات المجتمع من التحرك لتحقيق مصالحها، خاصة وأن تضررها من الوضع القائم واضح جدا ؟

إبراهيم : هذا هو المشكل الكبير ! الشعب يتضرر بالتأكيد من الأوضاع القائمة، ويعاني من ظلم وتخلف هذا النظام السياسي القائم، منذ عشرات السنين. لكن مكونات الشعب تظلّ مشغولة بقضايا فردانية، أو ثانوية، أو شكلية، أو مغلوطة. الناس

---

[3] الكتب الثلاثة : "Le Sociétal"، و "Le Politique"، و "L'Éthique politique"، تستكشف المجتمع، وتحاول إبراز القوانين المتحكمة في تطوره. كما تبحث في شروط تغيير المجتمع. ويمكن تنزيل هذه الكتب من الموقع الالكتروني التالي : " http://LivresChauds.Wordpress.Com ".

"لماذا لا تقدر بعد 'حركة 20 فبراير' على إسقاط الاستبداد ؟" (صيغة 12) ، عبد الرحمان النوضة.

مُسْتَلَبُون بِهَمّ جمع المال. وذلك بالرغم من أن إمكانية تحسين ظروف عيش الشعب ممكنة. كيف نجعل مكونات الشعب تدرك مصادر معاناتها ؟ كيف نجعلها تتجرأ على التفكير الحر ؟ كيف نجعلها تتجرأ على النقد، وعلى المشاركة في النضال، وعلى الإقدام على تغيير واقعها المجتمعي، نحو التقويم، وبهدف التّثْوِير ؟ كيف نجعل مجمل مكونات الشعب تتضامن فيما بينها ؟ هذه القضايا تدخل كلها ضمن مهام القوى السياسية التقدمية.

آدم : هذا هو ما يُفترض أن تقوم به مجمل الأحزاب التقدمية.

إبراهيم : نعم ! لكن قد يحدث أن حزبا تقدميا أو ثوريا أو يساريا لا يقوم بهذا الواجب بالقدر المطلوب، أو بالأسلوب الملائم. إذ ذاك، يكون من واجب مناضلي هذا الحزب أن يشاركوا في هذا الجهد، سواء في انسجام مع قيادة الحزب السياسي الذي ينتمون إليه، أو في حالة نقد وصراع مع قيادة هذا الحزب المعني.

آدم : هل هذه دعوة إلى عصيان المناضلين على أحزابهم ؟

إبراهيم : لا، لا، ليس بالضرورة. المقصود هو أنه يلزم أن تشمل عملية التثوير كل مكونات المجتمع، بما فيها الأحزاب الثورية. لأن الحزب، أو المربي، ليس إلَاهًا مقدّسا، بل يحتاج هو نفسه إلى إعادة التربية. لِنَحْذَر من الانحراف الذي يجعل كل مناضل يميل إلى تقديس حزبه، أو تياره، أو جماعته. خاصة وأن المرحلة الحالية تستوجب الاستفادة من التجارب السابقة، وتتطلب تصحيح المفاهيم، والتصورات، والأساليب. بل وتحتاج حتى إلى تصحيح القيم السياسية أو النضالية. يجب أن تشمل عملية التقييم، والتقويم، والتّثْوِير، كل الميادين، وأن تتجاوز كل الحدود التي تعيق التقدم.

آدم : نتفق على ضرورة تَثْوِير كل شيء في المجتمع. هذا جميل ! وهذا هو ما يقوم به مُناضِلُو 'حركة 20 فبراير'.

إبراهيم : لا ! هذا الاعتقاد مبالغ فيه. كيف يعقل أن يكون بمستطاع كل مناضل أن يساهم فعلا في تثوير المجتمع ؟ هل بمجرد أن يشارك شخص ما في 'حركة 20 فبراير' يصبح مؤهلا للمساهمة في تَثْوِير المجتمع ؟ هل بمجرد ما ينخرط أي شخص في حزب تقدمي يصبح فورا مؤهلا للمشاركة في تقويم أو تثوير المجتمع ؟ من أين ستأتي المعرفة إلى ذلك الشخص،

أو الخِـبرة، أو الأخلاق (اللاّزمـة للمسـاهمة فـي ذلـك التثوير) ؟ إذا لم يكن الحزب يعيد تكوين، ويعيـد تربيـة، المـواطن الـذي ينخـرط في صـفوفه، فـإن هـذا المـواطن سـيبقى حـاملا لنفـس الأفكـار، ولنفـس القيـم الفاسـدة، الموجودة في ذلك المجتمع.

آدم : أُحِسّ أحيانـا أن جَـدلَك يُـدخل رأسـي فـي ارتبـاك، أو فـي دُوخَـة. مـن جهـة، تقـول أن مسـاهمات قوى أحزاب اليسار ضرورية، ومن جهة أخرى، تقـول أن أحزاب اليسار، ولو كانت ثورية، يمكن أن تنحرف.

إبراهيـم : فعلا ! بـل بعـض الأحـزاب غالبـا مـا تكتفـي بشـحن "الحلقيـة" فـي أعضـائها. وبعـض المناضـلين، وفـي داخـل أنفسـهم، يعطـون لمفهـوم "السياسـة" معنـى "فـن المنـاورة"، أو "فـن التحايـل"، أو "الكيد". وحتى إذا إِفْتَرَضْنا أن الثورة قـد نجحـت، أو أن عملية بناء نظام سياسي جديد قد انطلقت، فإن الخطـر المحتمـل، فـي هـذه الحالـة، هـو أن نسـبة مُعَيّنـة مـن المناضـلين الـذين قـد يتحملـون مسـؤوليات فـي الدولـة الجديـدة، يمكـن أن يعيـدوا إنتـاج نفـس الإنحرافـات (السياسـية أو الاقتصـادية) القديمـة المنبـوذة. إذا أردتَ بناء مجتمع ديمقراطي، فلا بد لك، منذ الآن، من تعليـم ونشـر وإشـاعة القِيَـم الديمقراطيـة. وإذا أردت بنـاء

مجتمع اشتراكي، فيلزمك أن تنشر قيم الاشتراكية، في صفوف حزبك، وفي سائر مجتمعك. أما أن تعتقد أن هذه الأفكار والقيم سوف تأتي لمجمل المناضلين، أو لسائر المواطنين، بشكل تلقائي، أو عفوي، فهذا اعتقاد خاطيء.

آدم : يظهر كلامك كأنه نقد ل 'حركة 20 فبراير'. لكن عندما نفحصه، نجد أنه يجسد في الواقع نقدا للأحزاب السياسية، بما فيها قوى اليسار.

إبراهيم : فعلا ! لأنه يوجد ترابط عضوي، أو جدلي، بين قوى اليسار و'حركة 20 فبراير'. فإذا كانت أحزاب اليسار في مستوى فكري وتنظيمي ونضالي متقدم، فإن "حركة 20 فبراير" ستكون هي أيضا في وضع متقدم. وإذا كانت قوى اليسار في مستوى ضعيف، فإن "حركة 20 فبراير" ستكون هي أيضا في حالة ضعيفة. ورغم أن 'حركة 20 فبراير' إنطلقت في بدايتها (في 20 فبراير 2011) بشكل مستقل عن الأحزاب، فإن المناضلين المؤهلين للنهوض ب 'حركة 20 فبراير' هم (على الخصوص) المناضلون المُنظّمون في قوى اليسار. وجزء هام من المشاركين حاليا في 'حركة 20 فبراير' هم منخرطون في قوى اليسار، أو مرتبطون بها. أما إذا اعتقدنا أنه لا يوجد أي ترابط بين

أحزاب اليسار و'حركة 20 فبراير'، أو إذا ظَنَنّا أنه من الممكن أن تُعَوّض 'حركة 20 فبراير' قوى اليسار في مجال إسقاط الاستبداد، أو في مجال تحقيق الديمقراطية، أو الحرية، أو العدالة الاجتماعية، فإننا سنكون ساذجين. وسيكون ظَنّنا هذا مُوغِلا في الاعتماد على العفوية.

آدم : أطروحتك إذن هي أن تغيير المجتمع غير ممكن في حالة غياب حزب ثوري، أو أحزاب ثورية.

إبراهيم : الحقيقة هي أن حالة قوى اليسار تنعكس بالضرورة على حالة 'حركة 20 فبراير'. وأهمّ نقط ضعف 'حركة 20 فبراير' (التي تناولناها في هذا الحوار) تأتي بالضبط من نقط ضعف قوى اليسار. طبعا، غالبية المنخرطين في أحزاب اليسار يعتقدون، أو يدّعون، أن أحزابهم هي في حالة جَيّدة، أو أنها في تَحَسّن مستمر. لكن المشكل هو أن هؤلاء المناضلين ظلوا يرددون هذا الادعاء منذ عشرين أو ثلاثين عاما، بينما الفعالية السياسية لأحزاب اليسار ظلت دون المستوى المطلوب، خلال كل هذه السنوات. فكُلّما كانت قوى اليسار ضعيفة، أو قليلة الفعالية، أو متخلفة (بالمقارنة مع ما ينبغي أن تكون عليه)، فإن 'حركة 20 فبراير' ستكون حتما هي كذلك ضعيفة، أو قليلة

الفعالية، أو متخلفة. وبعبارة مُبَسّطة، يمكن القول أنه : ما دامت قوى اليسار دون المستوى المطلوب، فإن الاستبداد لن يسقط بالمغرب، وأن الثورة السياسية لن تحدث (على المدى القريب).

خاتمة

إنتهت التمثيلية أو الحوار. لكن الجدل قد يستمر بين المناضل "آدم" والمناضل "إبراهيم". لأن المشاكل المجتمعية تتطلب أكثر من حوار، وأكثر من قراءة، وأكثر من مقاربة، وأكثر من دراسة. والآراء المتبادلة تستوجب آراء أخرى. وكل ملاحظة تستدعي ملاحظات مُكَمّلة كثيرة. وكل مشكل أقدمنا على معالجته، يفتح المجال لظهور مشاكل أكثر تعددا، وتنوعا، وتعقيدا. المهم هو أن لا نخشى الجدل، والبحث، والنقاش، والنقد، بل وحتى النقد الذاتي المُنْشِرح. فما لم نراجع معتقداتنا، أو ما لم نشك في بعض يَقِينِيّاتنا (من كلمة يَقِين) القديمة، أو ما لم نتجرأ على فحص ممارستنا، وعلى نقد أخطاءنا، فإننا لن نتقدم. في كل الميادين، التقدم مشروط بالتقييم، والنقد، والتقويم، والتَثْوِير.

عبد الرحمان النوضة([4])

(حُـرر هـذا المقـال (التمثيليـة) فـي الجمعـة 23 شـتنبر 2011، وعُدّلت صيغته عدة مرات).

[4] عبد الرحمان النوضة : مهندس، كـاتب، معتقل سياسـي سـابق، محكـوم بالسـجن المؤبـد، قضى 18 سنة في الاعتقال في عهد الملك الحسن الثاني.
"لمـــاذا لا تقـــدر بعـــد 'حركـــة 20 فـــبراير' علـــى إســـقاط الاســـتبداد ؟" (صـــيغة 12) ، عبـــد الرحمـــان النوضـــة.